كيف نعرف عقائدنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد رسله وخاتم انبيائه محمد واله الطيبين الطاهرين ولعنة الله تعالى على اعدائهم اجمعين.

البحث العلمي في اي مجال ينبغي فيه تحري الحقيقة والا لعاش الانسان في الوهم يغلبه ويشوه حياته، وفي العلوم التجريبية يكون هذا من الوضوح بمكان مكين فيحاول العلماء الوصول الى الحقيقة بما أمكنهم من الوسائل ويعدلون النظريات لأدنى تفاوت ومن هنا تطورت العلوم الاستكشافية وربطت بين الظواهر واسبابها والمسيرة مستمرة.

في ما يرتبط بالعقيدة الدينية عند الشيعة الامامية فان فيه جوانب ثلاثة.. الجانب العقلي.. الجانب الغيبي.. الجانب التاريخي.

وهذه الجوانب الثلاثة هي من اهم محاور البحث في علم العقيدة لذا سنتعرض لبيانها هنا.

***الجانب العقلي**: العقل هو محور الادراك فبالعقل يدرك الانسان نفسه وما حوله وينطلق لإدراك ما يمكنه من الموجودات والافكار ونعمة

من أعظم نعم الباري عز وجل على الانسان وقد خاطبه الله تعالى.. بك اثيب وبك اعاقب... كما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب»[1] فالعقل كما هو منطلق الإدراك فهو مركز المسؤولية الملقاة على عاتق الانسان.

ودور العقل هو الادراك والتعرف على الامور والافكار اما نفس بيانها فلا دور له فيه. هذا في المعرفة الدينية فضلا عن التأسيس المنفك عن بيان السماء.

***الجانب الغيبي**: الغيب هو كل ما غاب عنا ولا يختص بالمستقبل قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[2].

ومن هنا نعرف ان الغيب يشمل المستقبل والماضي بل حتى الحاضر الذي يخفى لسبب او اخر فكل ما غاب عنا فهو غيب.. وبعض الغيب تعلقت به العقيدة. فالرجعة وظهور

(١) الكافي: ١/ ١٠.
(٢) سورة آل عمران: ٤٤.

الامام الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه الشريف والبرزخ والقيامة والجنة والنار ووجود الانبياء (على نبينا واله وعليهم السلام) وكتبهم والملائكة وغير ذلك كثير هو من الغيب، ويجب الايمان بما وصل الينا منه بالدليل الواضح في الكتاب الكريم او سنة المعصومين عليهم السلام.. دون ما انتجته الرؤى البشرية المنفصلة عن الوحي كما هو معروف في التصوف او الفلسفة.

***الجانب التاريخي**: ومما تقدم في الجانب الغيبي فان الجانب التاريخي يتداخل معه ولكنه أُفْرِدَ لما كان التاريخ علما مستقلا له وسائل اثبات تختلف عن الجوانب الاخرى.. ولا شك ان لبعض حوادث التاريخ لها مساس بالعقيدة الحقة فمثلا تاريخ البعثة النبوية الشريفة واحداثها وما بعد العهد النبوي الشريف وما يرتبط بظلامات ال البيت عليهم السلام وغير ذلك كل هذا يصنف ضمن التاريخ، ولما كانت اغلب الكتب الواصلة الى زماننا هي مما كتبته اقلام المخالف او نقل عنهم فأننا نجد ان التناقضات قد طالتها آخذةً من الحقيقة مأخذها متطاولة على المعرفة الحقة أيّما تطاول، من هنا جرى مداد العلماء الاعلام والمحققين الكرام لتثبيت الحق والدفاع عن اهله فينبغي للمتتبع ملاحظة ذلك وان لا يكتفي

بالاطلاع على نص هنا او هناك ليحاكم التاريخ.

ولا يخفى ان هذه المجالات الثلاثة ليست على وتيرة واحدة في ما وردنا من منابع العلم بل قد تختلف البيانات بحيث يكتفى في التنبيه الى حكم العقل بأيسر بيان لا مثل القضايا التاريخية او الغيبية التي ربما يحتاج الباحث الى التروي اكثر والبحث في القرائن والمؤيدات.. ولا يخفى ايضا ان هذه المجالات قد طالتها يد التجافي والابتعاد بها عن هدفها من خلال الاشكال عليها أو لَيِّ عنقها بالتأويل ناهيك عن سياسة الاخفاء التي تبناها الخصم فيما يرتبط بآل البيت الاطهار عليهم السلام.

ولذا تكونت مناهج في المعرفة وتفرقت المناهج داخليا لتكون مناهج اخرى وهكذا فليس كل من اطلع على فن منها من خلال بعض مباحثه المنضوية تحت منهج معين يكون مختصا يحسن الاستنارة برأيه بل لا بد من وضوح الرؤية عند الباحث والله المستعان.. وجملة هذه المباحث تنتمي اليوم الى علم الكلام الذي اتسعت دائرته لتشمل الدفاع عن الفكر الاسلامي بشكل عام لا مجرد سوق الادلة على اصول الدين وان كانت هي الاساس الاصيل في المعرفة الدينية.

تنبيه.. العطاء المعرفي في مجال الفقه مما نال

من الجهد ما يناسبه من تحقيق مسائله ومبانيه وقد تطور الفقه واصوله عند الشيعة الامامية كثيرا ليسد الحاجة الى الحكم الشرعي في مجالات الحياة المتجددة.

والجانب الفكري ايضا تطور ليقف على الفكر الاخر من شتى الاتجاهات الدينية والمادية ولكنه اليوم بحاجة ماسة الى وضع اصول الفكر الديني وقد ظهرت بعض الدراسات في هذا المجال ولكنها لا تفي بإيصال الباحث الى طريق واضح فيه بل في اكثرها تكرار لمنهج ما جمعا وايضاحا ومن هنا فمن مهمات الباحث هو التعرف على وسائل الاثبات في علم الكلام ليشمل الموسوعة الفكرية العامة وبيان مفرداتها عن منهج متكامل وهو ما سنتحدث عنه اجمالا في الحلقة القادمة والله الموفق للصواب نعم المولى ونعم النصير.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مركز دار الحكمة للتنمية والدراسات الإسلامية
٤١

كيف نعرف عقائدنا؟

الشيخ حيدر الوكيل